كلية : الآداب

القسم او الفرع : اللغة العربية

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : أ.م.د. نهاد فخري محمود

اسم المادة بالغة العربية : النقد القديم

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Old Criticism

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: موقف ابن قتيبة من القديم والحديث

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية: Ibn Qutaiba's position about ancient and modern

مقرر الفصل الأول

موقف ابن قتيبة من القديم والحديث:

رفض ابن قتيبة مقياس الشعر على أساس (الزمن) على الرغم من الصراع بين القديم والحديث في الشعر من المسائل التي شغلت أذهان النقاد والأدباء قديماً وحديثاً، وبدأت هذه المحاولات في جهود العلماء و اللغويين الذين اندفعوا بحماس لجمع الشعر العربي القديم وروايته وتوثيقه حرصاً منهم على سلامة اللغة العربية وحفظ شواهدها، وتجاوز هذا الإعجاب بالقديم الى حدِّ التعصب له ورفض كل محدث مهما كانت جماليته أو بغض النظر عن قيمته الفنية.

وقد بان موقف ابن قتيبة من القديم والحديث بشكل جلي، إذ استند الى نقطتين في التنظير لهذه المسألة:

أ- أنَّه لا يوجد قديم مطلق ولا حديث مطلق، فالقديم كان حديثًا، كما أنَّ الماضي كان حاضرًا، والحديث سيكون قديماً، كما أنَّ الحاضر سيكون ماضيًا، ولذلك فإنَّ النظر الى الماضي الذي كان حاضرًا نظرة تقديس لا معنى لها مادام الحاضر المزدرى سيكون ماضيًا مقدسًا، وهذا تناقض في القياس المنطقي، فعلينا أن نرفض هذا التناقض ولا يمكن رفضه إلا بتعديل المقياس النقدي. بدليل أنَّ جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدّون محدثين في زمانهم، إذ إنَّ أبا عمرو بن العلاء يقول:(لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته، ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا، كالخريمي والعتّابي والحسن بن هانئ وأشباههم). لذلك رأى أن تكون الجودة حاضرة في تقييم هؤلاء الشعراء بغض النظر عن الزمن، لذلك قال:(فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له، وأثنينا به عليه،

ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله، ولا حداثة سنه، كما أن الرديء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه).

ب- لم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خصَّ به قوماً دون قومٍ، بل جعل ذلك مشتركًا مقسومًا بين عباده في كل دهر. من هذا المنطلق استهجن ابن قتيبة نظرة علماء عصره الذين استجادوا السخيف من النظم لتقدم قائله، لذلك رأى ابن قتيبة أنَّ البراعة غير مقصورة على زمن معين أو قوم معينين، بل جعل ذلك هبة من الله قائلًا: " فإنِّي رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه في متخيَّره، ويرذل الشعر الرصين، ولا عيب له عنده إلا أنَّه قيل في زمانه أو أنَّه رأى قائله".

نفهم من قول ابن قتيبة أنَّ القدرة الفنية والعبقرية ليست وقفاً على الماضين، وإنَّما هي هبة الله لبني الإنسان من مضى ومن هو موجود الآن، ومن سيأتي في المستقبل.

من ذلك كله لخَّص ابن قتيبة موقفه الوسطي بالآتي:

أ- الحكم بموضوعية على الأشعار من دون التأثر بما قيل مسبقاً، لذلك قال:" ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختار له، سبيل مَن قلَّد، أو استحسن باستحسان غيره. ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل على الفريقين، وأعطيتُ كلاً حظه، ووفرتُ عليه حقه".

ب- عدم التأثر بمكانة الشاعر الاجتماعية أو زمنه، بدليل أنَّ عدداً من الشعراء نالوا مكانةً اجتماعيةً أو فكريةً أو سياسيةً، إلا أنَّ ابن قتيبة لم يلقِ لذلك بالاً بل وضع الجودة معياراً نقدياً له في الحكم على الشعراء.